

القدماء والمحدثون

عند العرب

لا نريد هنا أن نتبع تقسيم الأدباء لشعراء العرب إلى جاهلى ومخضرم وإسلامى ومحدث، وإنما نريد أن ندرس تحت هذا العنوان ما أدرك الشعر العربى من الأطوار والانتقال من حال إلى حال، لنعرف إن كان هناك خلاف ظاهر، أو مذاهب بلاغية أو كتابية فى الشعر العربى أثناء مروره بالعصور المختلفة.

إذا تتبعنا حركة النقد الأدبى عند العرب وجدنا أن الباعث على الاشتغال بالأدب والعناية بجمع أشعار العرب، هو القرآن الكريم والمحافظة على لغته التى هى العربية الفصحى الصحيحة. ولم يظهر الإسلام ديناً محمدياً فقط، بل ظهرت ديناً عربياً، جاء بكتاب عربى مبين. فنهض المسلمون نهضة دينية، ودفعهم إيمانهم بكتابهم وإخلاصهم له إلى دراسة العلوم والفنون المختلفة، ولا سيما علوم اللغة والأدب لفهم القرآن وإدراك أسرارهِ، وتأييد معجزته الإلهية، واهتموا بذلك اهتماماً فاق كل اهتمام. فجمعوا الأشعار الكثيرة الجاهلية لصحتها وخلوها من الخطأ اللغوى، واختص بذلك جماعة من الحفاظ والرواة فكبرت منزلة الشعر الجاهلى فى نفوسهم. وكان فى الحق أن يفضلوه على غيره وأن يجعلوه قاموساً لهم فى العبارة ونموذجاً لهم فى الأسلوب وأن يتحدوا به ما عداه. وكان أكثر علماء اللغة والأدب من علماء الدين، فكثرت تمجيدهم للقدماء، وخلطوا الغرض الدينى بالغرض الأدبى، وقالوا لا بد من اقتفاء آثار القدماء، وفهموا أن جمال الشعر

القديم مبنى على الاستعارة والتشبيه، فعرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى، المبنى على الاستعارة والتشبيه، إلى آخر ما قالوا. وانصرفوا إلى شرح العبارات والألفاظ، وتشاجروا فى حد البلاغة والفصاحة، ولم يتفقوا على شىء اتفقهم وإجماعهم على تتبع طريقة القدماء. ذلك لأن اهتمامهم بالشعر كان يفوق اهتمامهم بالنثر، إذ احتجاجهم على صحة اللغة والمعانى كان بالشعر لا غير. وكأنهم فهموا أن أكبر مظاهر البلاغة العربية لا تظهر إلا فى الشعر. لذلك لم يكن أثر النثر فى الأدب العربى كأثر الشعر، ولهذا أيضاً كان الشعراء أكثر من الكتاب، وكانت كتب النثر سواء فى النقد أو فى الأدب أقل من كتب الشعر ونقده.

ولعل السبب فى الميل إلى الشعر عند العرب أن الباعث على القول فى بلاغتهم هو الوجدان والخيال، وذلك أكثر ما يكون جولاناً فى ميادين الشعر، إذ النثر أظهر ما يكون فى تقرير الحقائق ورسم النفوس والاجتماع، وذلك ليس من طبيعة العربى فى بلاغته. لأن العربى - كما قلنا فى غير هذا الموضع - مرتجل بطبيعته، ميال إلى البديهة، والارتجال والبديهة لا يصلحان لعمل النثر الجيد المبنى على الفكر والتعقل. ومن هنا قل النثر الأدبى عند العرب فيما يظهر لنا.

مع أن كل اهتمام أدباء العرب كان موجهاً للشعر لا غير، فإن الذى ينظر إلى حالة الشعر العربى لا يجده تغير فى جملته. وما يوجد من الفروق بين الأشعار وطرائقها فى العصور المختلفة أكثره أو كله يرجع إلى الاختلاف فى الأسلوب والديباجة، وإدخال بعض الألفاظ والعبارات التى لم تكن، ثم اختلاف طرق الخيال باختلاف المنظورات: كالفرق بين وصف الصحراء

ووصف البساتين، والفرق بين وصف الأطلال والكلام فى الخمر، وهذا لا يعد من الأطوار الأدبية المعروفة، لأنه مبنى على أصل واحد، وهو تقليد القدماء فى الشعر الوجدانى. فالقديم والحديث من نوع واحد، خصوصاً أن الأدباء والنقاد حددوا الموضوعات وقسموها تقسيماً نهائياً، ووضعوا القواعد لمن يأتى بعدهم، وحصرُوا أنواع الفكر والخيال فيما فكر وتخيل القدماء. وكتب النقد والبلاغة مملوءة بذلك، فلم يكن البحث إلا فى الأسلوب والعبارات، وحسن الديباجة والفصاحة والبلاغة. لذلك قالوا عندما أرادوا أن يتكلموا على أنواع الشعر: من "الشعر الجاف المشتمل على الغريب، ومنه العذب الرقيق السهل، ومنه ما هو (كالفسق المقشر) ومنه ما دخلته ألفاظ إسلامية وما احتوى على ألفاظ فارسية وعبارات اقتضتها الحضارة" وتكاد تكون هذه الملاحظات هى المذاهب الكتابية المعروفة عند العرب^(١).

(١) كما مدح البحتري ابن الزيات بقوله:

سامرو أنه نظم فريد	فى نظام من البلاغة ما شـ
حك فى رونق الربيع الجديد	وبديع كأنه الزهر الضـ
وتجنبن ظلمة التعقيد	حزن مستعمل الكلام اختيارا
من به غاية المراد البعيد	وركن اللفظ الغريب فأدرك

وكل ما ورد من ذلك يد على العناية بالصناعة لا غير بين القدماء والمحدثين كما ذكر ابن رشيق فى كتابه «العمدة فى نقد الشعر وصناعته» قال فى الكلام على القدماء والمحدثين: «وإنما مثل القدماء والمحدثين كممثل رجلين ابتداءً هذا بناء فأحكمه وأتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذاك وإن خشن» فلم يروا أنه كان للمحدثين شىء من الاختراع أو أثر من البلاغة يستحق العناية، فقد قالوا فى أشعار المولدين: «إنما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها... وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام، وإن الخواص فى معرفتها كالعوام، فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب، يستميل أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان» (عمدة أول ص ٥٨).

وهذا دليل على أنهم لم يقدرُوا الجديِد قدره، ولم يقولوا بوجوب (التطور) والانتقال. فإن من عنى بالمحدثين منهم لم ير لهم أثراً فى غير الصناعة، قال ابن رشيّق: "والعرب لا تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظ، أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان الشعر وإحكام عقد القوافى، وتلاحم الكلام بعضه ببعض" وقال عن المحدثين أيضاً "وليس يتجه البتة أن يتأتى من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع من غير قصد، كالذى يأتى من أشعار حبيب والبحترى وغيرهما، وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها. فأما حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنع المحكم طوعاً وكرهاً، يأتى للأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة. وأما البحترى فكان أملح صنعة وأحسن مذهباً فى الكلام، يسلك منه دماثة وسهولة، مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة، وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنعاً من عبد الله بن المعتز، فإن صنعتَه خفية لطيفة لا تكاد تظهر فى بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر، وهو عندى ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتناناً وأقربهم قوافى وأوزاناً، ولا أرى وراءه غاية لطالِبها فى هذا الباب.

= وبلغ من تعصبهم للقديم أن عمر بن العلاء لم يكن يروى شعر المحدثين على ما كان ظاهراً فيه من الرقة والانسجام قال: لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا بروايته. وكان لا يعد الشعر إلا للمتقدمين، قال الأصمعى: جلست إليه صمانى حجج فما سمعته يحتج بيت إسلامى. وسئل عن المولد فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه وما كان من قبيح فهو عندهم، ليس النمط واحداً ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع.

غير أنا لا نجد المبتدئ فى طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعاً منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها، ولأنها أطرقا إلى الصنعة ومعرفتها طريقاً سابلة، وأكثروا منها فى أشعارهما تكثيراً سهلهما عند الناس وجسرهم عليها. على أن مسلماً أسهل شعراً من حبيب وأقل تكلفاً، وهو أول من تكلف البديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة. ولم يكن فى الأشعار المحدثه قبل مسلم إلا النبذ اليسيرة، وهو زهير المولدين، كان يبطئ فى صنعته ويجيدها. (عمدة جـ أول ص ٨٣ - ٨٥)

كل هذا يدل على أن الخلاف لم يكن فى اختراع نوع جديد من أنواع الشعر الذى لم يكن عند العرب القدماء، وإنما هو فى الأسلوب والديباجة والصناعة لا غير... (١).

(١) ولا يصح أن تقابل هذه الحركة بحركة القدماء والمحدثين فى فرنسا، لأن الخلاف هناك كان مبنياً على فكرة فلسفية كما بينا ذلك، وهى فكرة التقدم والارتقاء فى الأفكار والموضوعات وفى لب الكلام. فإن آدابهم كانت مأخوذة عن آداب الأمم الأخرى، فأرادوا أن يجعلوها آداباً وطنية قومية، على أن يستمدوا الصناعة ومثانة الأسلوب وإمتاع الكلام من الآداب القديمة، وأن ينسجوا على منوالها فى ذلك، وهذا لم يمنعهم من الابتكار والاختراع.

أما الخلاف بين القدماء والمحدثين عند العرب فهو على العكس من ذلك، فإنه ليس فى الموضوعات ولا فى الأفكار ولا فى أصل البلاغة، وإنما هو فى الأسلوب فقط، لأن علماء الأدب والنقاد لم يعترفوا للمحدثين بشئ جديد إلا فى بعض التشبيهات والمعانى المخترعة، أى طرق الخيال التى تقع فى بيت أو بيتين كقول أبى تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وكقول أبى نواس:

بنيت على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتهما بنجوم
فلو رد فى كسرى ساسان روحه إذن لاصطفانى دون كل نديم

على أن المحدثين أنفسهم لم يقولوا أنهم اقترحوا جديداً، أو جاءوا بنوع لم يكن عند العرب، وكل ما قالوه يرجع إلى الخيال الذى يرجع فى جملته إلى الشعر الوجدانى، ولا يدل على شىء من الأطوار الأدبية. ولا أنبئكم بباب "السرقه فى الشعر" وانتشاره فى كتب النقد، فكم أخذ الأواخر من الأوائل، وكم معنى ابتكره البدوى فأخذه عنه الحضرى المحدث، وغير من لفظه لينسبه إلى نفسه، وباب السرقات طويل جداً يدل على أن المحدثين فى جملتهم لم يخترعوا ولم يبتكروا. قال عبد العزيز الجرجانى فى كتابه "الوساطة":

"والسرق أيدك الله داء قديم، وعيب عتيق، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه، وكان أكثره ظاهر التوارد، الذى صدرنا بذكره الكلام وإن تجاوز ذلك قليلا فى الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ. ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتغيير المنهاج والترتيب، وتكلفوا جبر ما فيه من النقص بالزيادة والتأكيد، والتعويض فى حال، والتصريح فى أخرى، والاحتجاج والتعليل، فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ثم العصر الذى بعدنا أقرب إلى المعذرة، وأبعد من المذمة، لأن من تقدمنا قد استغرق المعانى وسبق إليها، وأتى على معظمها، وإنما يحصل على بقايا إما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها، أو لبعد مطلبها، واعتياص مراميها، وتعذر الوصول إليها. ومتى أجهد أحدا نفسه، وأعمل فكره، وأتعب خاطره وذهنه فى تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً، أو يجد له مثالا يغضى من حسنه، ثم

تصفح عنه الدواوين لم يخطئ أن يجده بعينه، أو يجد له مثلاً يغضى من حسنه ... إلخ" (ص ١٦٦ - ١٦٧).

ومع ذلك فقد لمحوا في نفوسهم الحاجة إلى التغيير والانتقال. فقال الفرزدق في شعر عمر بن أبي ربيعة: "هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار" (أغاني أول ص ٣٦) ولعل هذا أول من شعر بالحاجة إلى شيء جديد فى الشعر قبل مطيع بن إياس، الذى روى خبره صاحب الأغاني قال: "قال مطيع بن إياس جلست أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصبوة ويكتم ذلك. ففاوضناه وأخذنا فى ذكر أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه لك فقال:

لأحسن من بيد يحار بها القطا ومن جيلى طى ووصفكما ساما
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلة فى وجه صاحبه ترعى^(١)

كان ذلك فى مدة الأمويين وفى أوائل الدولة العباسية. فلما تربع الفرس فى دولة بنى العباس وعلا شأنهم، أثروا فى كل شيء وأثروا فى الشعر أيضاً. وكان يمكن أن يكون هذا الأثر سبباً لانقلاب عظيم فى تاريخ الشعر العربى، ولكن هذه العاصفة الآرية التى هبت من بلاد الفرس، لم توشك أن تظهر حتى ذهبت هباء فى صحراء العرب، فهزم السامى الآرى لأن الدولة كانت له واللغة لغته والدين دينه، بل لم يكتف الآرى بهذه الهزيمة حتى اندمج فى السامى وأخذ عنه، وبدل أن يؤثر فيه تأثر منه. وهذه من مزايا اللغة العربية فإنها لم تظهر فى أمة من الأمم التى دانت بكتابها الكريم

(١) أغاني ج ١٢ ص ١٠٢.

إلا أثرت فى عقولها ومعلوماتها، وجذبتها إليها ومحت منها خواص لغتها، واستولت على خيالاتها، وتسربت إلى لغاتها، واحتلت بحق أو بغير حق مواضع البلاغة منها، شأن القوى فى الإنسان والحيوان والنبات. وذاك ما تراه حتى الآن فى بلاد الفرس وفى بلاد الترك وفى بلاد البربر وفى مصر. مع ذلك أظهر أثر الفرس فى الشعر العربى، فقد أراد الشعراء أن يدخلوا فى الشعر العربى أثر المدنية الحديثة، وأن يخرجوا من مضيق البلاغة وفنون البيان إلى العبارات النفسية. ولكن هذا التغير أبعدهم عن الزمن العربى الأصلى وصبغته التى كانت تدل على الإخلاص فى القول وعدم العمل والبعد من التكلف، فوقعوا فيما كانوا يخشون، ولم يظهر أثر الحضرة فى الشعر العربى إلا فى نقله من الشعر المطبوع إلى الشعر المتكلف المصنوع. فلم يوجد فيه شيئاً جديداً، ولم يبتكر نوعاً حديثاً، وأصبح الشعر صنعة من الصناعات أكثر منه فى كل عصر. وأخذ الشعراء يتناسون ما كان عند سلفهم من الشعر الصادر عن الشعور والعواطف إلى التصنع والبحث، لا فى الصناعة لا غير، فى الأفكار والخيال. حتى إن الغزل والنسيب اللذين أخذتا شكلاً جديداً على النفس، مع شئ من الفكاهة وخفة الروح مدة الأمويين، عند جميل بن معمر وعمر بن أبى ربيعة وكثير عزة، صار إلى نوع من المجون والمزج عند والبة ومن جاراها^(١).

(١) وهذا ما يسميه بعض المشتغلين بالأدب أطواراً للشعر وانتقالاً للخيال وشيئاً جديداً فى الأدب، أما نحن فلا نسمى ذلك نوعاً جديداً فى الشعر العربى، لأن أقدم شعراء العرب وصف الخمر وتكلم فيها، وأشهرهم أعشى قيس فى قصيدته الشهيرة التى يشب فيها بهريرة قال:

نازعتهم قضب الرياح متكئاً	وقهوة مزة راووقها خضل
لا يستفيقون منها وهى راهنة	ألا بهات وإن علوا وإن نهلوا =

.....

= يسعى بها ذو زجاجات له نطف
وقال أيضاً:

فقمنا ولما يصح ديكننا
فقلت له هذه هاتها
فقام وصب لنا قهوة
كميتاً يكشف عن حمرة
فجال علينا بإبريقه
فرحنا تنعمنا نشوة
إلى خمرة عند جدادها
بإدماء في حبل مقتادها
تسكننا بعد إرعادها
إذا خرجت بعد إزبادها
فخضب كفى بفرصادها
تخور بنا بعد قصادها

وتكلم الوليد بن يزيد في الخمر ووصفها بما لا يقل عن وصف أبي نواس لها فقال:
من قهوة زانها تقادمها
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها
فقد تخلت ورق جوهرها
فهى بغير المزاج، من شرر
كانها في زجاجها قبس
فهى عجوز تعلو على الحقب
من الفتاة الكريمة النسب
حتى تبدت في منظر عجب
وهى لدى المزج سائل الذهب
تذكو ضياء فى عين مرتقب

كما ذكرها الأخطل أيضاً فى شعره. فليست صرخة أبى نواس فى دعوة الشعراء إلى
الجديد فى بابها، ولا تعد فى شئ من أطوار الشعر العربى. وكأن أبا نواس حامل لواء
المحدثين - لم يجد ما يستحق الاهتمام غير وصف الخمر، فلم يشن هذه الغارة على
القدماء لأنه كان يشعر بالحاجة إلى نوع جديد فإنه لم يرد ذلك، بل كان من غرضه نشر
مذهبه فى الخمر والفجوة، إذ لم يكن لديه أى فكرة أدبية، وكل آرائه التى ذكرها فى هذه
الثورة لا تخرج عن رأى واحد كرره مرات فى افتتاح خمرياته.

مثل قوله:

صفة الطلول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وكقوله:

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند
واشرب على الورد من حمراء كالورد

وكقوله:

تبكى على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لى من بنو أسد =

.....

= لا جف دمع الذى يبكى على حجر
ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد
كم بين ناعت خمر فى دساكرها
وبين باك على نوى ومنتضد

وكثير من قصائده فى الخمر مبتدأه بمثل ذلك . وكأنه لم يجد غير ذلك فى الشعر
العربى ، مما يدل على أنه كان متعصباً ضد العرب ، لأنه أراد أن يفتح على الشعراء باباً
جديداً أو يرقى بالشعر . ولما سجنه الخليفة على تهتكه وإشهاره بشرب الخمر وطلب إليه
أن لا يصف الخمر بعد ذلك قال :

أعر شعرك الأطلال والمنزل القفرا
فقد طالما أزرى به نعتك الخمر
دعانى إلى نعت الطلول مسلط
تضيق ذراعى أن أرد له أمراً
فسمعا أمير المؤمنين وطاعة
وإن كنت قد جشمنى مركباً وعراً

ولم يخط ببال الأدباء إذ ذاك أن أبا نواس أراد بذلك أن يدعو إلى نوع جديد من
الشعر ، بل رأوا أن ذلك ليس إلا حنقاً على الطريقة الأولى : قال ابن رشيق : " ومن
الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من التشبيب بل يهجم على ما يريده مكافحة ،
ويتناول مصافحة ، وذلك عندهم هو الوثب والبتير والقطع والكسع والاقتضاب . . إلى
أن قال : وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتق هذا المعنى أبو نواس بقوله : لا تبك
لىلى ولا تطرب إلى هند السخ " نعم كان يدعوا أبو نواس إلى ترك الأوصاف القديمة
ووصف المدن والبساتين كما قال :

دع ذا عدمتك واشربها معتقة
صفراء تفرق بين الروح والجسد
أما رأيت وجوه الأرض قد نضرت
وألْبستها الزرابى بئرة الأسد
حاك الربيع بها وشيا وجللها
يبانع الزهر من مشنى ومن وحد

وهذا كل ما كان يرمى إليه أبو نواس من ترك الرصف للصحراء إلى ذكر آثار الرياض
والبساتين ومجالس اللهو ، ولم يقل أنه جاء بشيء جديد ، وكان الأدباء يرون ميزته
وحذاقته فى الصنعة . قال المبرد " ما تعاطى قول الشعر أحد من المحدثين أحذق من أبى
نواس ، فإنه شبب ومدح فى أربعة أبيات فقال :

تقول غداء البين إحدى نسائهم
لى الكبد الحرى فسرو لك الصبر
وقالت إلى العباس قلت فمن إذا
وما لى عن العباس معدى ولا قصر
وهل يكفلن إلا براحتة الندى
وهل يزهون إلا بأوصافه الشكر

لا نقول إن حركة المحدثين كان نصيبها الخيبة وعدم التمكن من رقى الأدب وإيجاد نوع جديد فيه فقط بل نزيد على ذلك أن المحدثين أبعادوا الشعر العربى عن طريقته الأولى، ومحووا منه خلتين كانتا من أكبر أسباب المتانة والجمال فيه، وهما السذاجة الطبيعية والإخلاص. فقد كان الشعر الجاهلى بهذين الخلتين قريباً جداً من الشعر الاجتماعى، الذى يمثل صور النفوس وأخلاق الأمم العامة. ولكن من أسف أن المحدثين زجوا به فى طريق التصنع والتعمل وقصوره على ضرب من البراعة فى الصناعة المتكلفة. وطريقة أبى تمام من المثل المضحكات فى ذلك.

ولو أن حركة الشعر سارت تدريجياً كحركة النثر لصح القول بأن الشعر العربى تدرج وانتقل، واتبع قانون "النشوء والارتقاء" - كما يقولون - ككل شىء حى - ولكن ذلك أظهر ما يكون فى النثر كما هو معروف. فقد كان النثر فى الجاهلية عبارة عن سجعات قصيرة أشبه بالشعر، من حيث الاستقلال بمعنى تام، ولم يظهر أثره إلا فى الخطب والنصائح، كخطب قيس بن ساعدة وغيره. ثم ارتقى برقى الخطابة فى صدر الإسلام، واتبع وزاد بالمناقشات السياسية بين الخلفاء وعمالهم ومن كان ينازعهم السلطان. وكان أول ظهور ذلك بين أبى بكر وعلى رضى الله عنهما، ثم الإمام على ومعاوية. ولو صحت نسبة نهج البلاغة لابن أبى طالب كرم الله وجهه، لكانت خطوة النثر فى نحو أربعين عاماً أوسع خطوة خطتها بلاغة العرب فى التقدم والارتقاء، لأن الفرق كبير جداً بين سجع كهان العرب وهذا الكلام البليغ الممتع. ثم أخذ النثر شكلاً أوسع فى آخر الدولة الأموية. أما مدة العباسيين فقد ارتقى فيها النثر ارتقاء عظيمًا ليس له مثيل فى عصر من عصور الدولة العربية، إذ

ظهرت فيه المقالات الطويلة فى موضوعات مختلفة . وأشهر الكتاب والمؤلفين فى ذلك العصر: الجاحظ وابن المقفع ، وكان لكل منهما مذهب خاص وطريقة معروفة فى الأسلوب . ولم يعد النثر منذ ذلك الزمن مقصوراً على الخطب والرسائل . ثم انتقل إلى درجة أخرى ، وهى طريقة السجع والصناعة فى تحسين العبارة . كما فى طريقة ابن العميد ، والصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمداني ، الذى اخترع فن المقامات ، وأخذها عنه الحريرى . وبذلك أخذ النثر طريقاً آخر وأسلوباً جديداً يصح أن يطلق عليه من بعض الوجوه أنه نثر قصصى .

ذكرنا هذا لنبين معنى الأطوار الأدبية وكيف تتحول وتتوالد أنواع البلاغة . وقد اخترنا أن نضرب مثلاً بالنثر العربى لوضوحه وضوحاً تاماً لا يوجد فى الشعر .

والكلام يحتاج إلى توسع نرجو أن نوفق لدراسته دراسة تامة فى المستقبل إن شاء الله .
